الدراسات التاريخية في الموصل
في القرنين الرابع والخامس الهجريين

«بحث مستل من رسالة دكتوراه»

د. صلاح الدين أمين طه
د. عبد الجبار حامد أحمد

اهتم العرب بعلم التاريخ منذ الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ، وكانوا يملكون وعياً تاريخياً متمثلاً في تسجيل أيام العرب وأنسابهم وتاريخ الأمم المجاورة لهم ، سواء أكان ذلك التسجيل نقشاً او شعراً أو قصة ، أو كانت أخباراً يتم تداولها شفاهاً . وعندما جاء الإسلام تطورت المعرفة التاريخية بسبب ظهور الحاجة العملية والفكرية التي دعت إلى الإهتمام بهذا العلم ، كالحاجة لمعرفة تفسير القرآن الكريم وحدوده وأحكامه وأسباب نزول آياته ، والحاجة لمعرفة سيرة الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ثم حاجة الدولة العربية الإسلامية إلى تسجيل نهضتها ورصد تطورها وانجازاتها وبيان دورها على الصعد كافة (١) .

ونتيجة لتطور الدراسات التاريخية بعد ظهور الاسلام ، فقد برزت مجموعة من المدارس التاريخية ، أطلق على بعضها : المدارس الصغرى كمدرسة الشام واليمن (٢) ، واطلق على البعض الآخر : المدارس الكبرى كمدرسة المدينة

(١) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ٥٢/١ وما بعدها ، وللتفاصيل عن الوعي التاريخي عند العرب قبل الاسلام وبعده ، انظر : الدوري ، عبدالعزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٦٠) ، ص ١٣ ومابعدها ، نصار ، حسين ، نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، ط٢ ، منشورات إقرأ ، (بيروت : ١٩٨٠) ، ص ١١ وما بعدها . فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : د. صالح احمد العلي ، (بغداد : ١٩٦٣) ص ٢٩ ومابعدها .

(٢) عن هذه المدارس واسباب نشوئها وأشهر مؤرخيها ، انظر : مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي ، ١١٩/١ ، ١٣٥ .

التي اهتمت بسيرة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ، والحديث والسنن والتفسير ، ومدرسة العراق التي أخذت الطابع القبلي واهتمت بالانساب والاخبار والأيام والحروب ، وقد كانت في الكوفة والبصرة ثم في بغداد بعدئذ (٣) .

وإلى جانب التقسيم الانف الذكر كانت هنالك مدن عربية إسلامية أخرى شهدت اهتمامات بالتاريخ وتسجيل أحداثه ، فضلاً عن ظهور مؤرخين في هذه المدن كانت لهم الاسهامات الجادة بمؤلفاتهم التاريخية في دعم الحركة التاريخية العامة ، ومن هذه المدن ، مدينة الموصل (٤) .

وقد ازدهرت الدراسات التاريخية في الموصل شأنها في ذلك شأن العلوم الأخرى ، وكان للاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها المدينة الدور الفاعل في هذا الازدهار ، لا سيما وان مؤرخي الموصل كانوا يعتمدون الرواية الموثوقة ، – على الأغلب – ، كما حدثنا عن ذلك الأزدي في تاريخه (٥) .

وفي مدة البحث وجدت في الموصل دراسة تاريخ السيرة والا هتمام بتواريخ الانساب إلى جانب التواريخ الأخرى التي سيرد ذكرها تباعاً .

(١) المغازي والسير :

وهو ضرب من التأليف التاريخي ، وموضوع (المغازي) لا يقتصر على غزوات الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – بل يتضمن أيضاً تسجيلاً لحياته بعامة ولذلك سمي بـ (السيرة) (٦) .

---

(٣) انظر : نفس المصدر السابق ، ١٤٩/١ ، ١٦٩ .

(٤) طه ، عبدالواحد ذنون ، العلوم التاريخية والجغرافية ، (بحث منشور في موسوعة الموصل الحضارية) ، ٨٤/٣ .

(٥) ٢ /٢٥٠ .

(٦) الدوري ، عبدالعزيز بحث في نشأة علم التاريخ ،ص ٢٠ ، وانظر : سزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي ، ترجمة : د. محمود فهمي حجازي ، نشر : إدارة الثقافة والنشر/ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، (السعودية : ١٩٨٣) ، م١ ، ج ١٩/٢ .

وقد نالت السيرة النبوية عناية المسلمين واهتمامهم من أجل معرفة حياة الرسول بتفاصيلها والاقتداء به في تنظيم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والادارية والقضائية ، لذلك فقد كان شأنها كعلم الحديث في الاعتماد على الاسناد للتأكد مما يروى عن الرسول (٧) .

وقد عني أهل الموصل بدراسة سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وورد أن أبا الحسين أحمد بن فارس النحوي (ت ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م) الذي سكن الموصل زمناً كان يقرىء فيها كتابه الموسوم بـ (أوجز السير لخير البشر) وممن قرأ عليه هذا الكتاب فيها ، الشيخ علي بن القاسم المقرىء (٨) .

وقد وضح ابن فارس مضامين كتابه هذا ، ثم بين أهمية حفظه وتعلمه والفائدة المرجوة منه ، في مقدمته التي جاء فيها : « ... هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه ، ويجب على ذي الدين معرفته من نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومولده ومنشأه ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه ومعرفة أسماء ولده وعمومته وأزواجه ، فان للعارف بذلك رتبة تعلو على رتبة من جهله ، كما ان للعلم به حلاوة في الصدر ، ولم تعم مجالس الخير بعد كتاب الله عز وجل بأحسن من اخبار رسول الله — صلى الله عليه وسلم (٩)

ومن الواضح ان هذا الكتاب هو في السيرة والمغازي ، بيد أنه صغير الحجم مختصر المعلومات ، ويبدو ان إبن فارس قد وضعه بهذا الشكل ليسهل على كل فرد مسلم تعلمه وحفظه بسهولة .

(٧) الرفاعي ، أنور ، تاريخ العلوم في الإسلام ، دار الفكر ، (دمشق: ١٩٧٣)، ص ٩١.
(٨) أوجز السير لخير البشر ، (بمبي : ١٣١١هـ) ، ص ٣ . وانظر : متخير الالفاظ ، تحقيق : هلال ناجي ، مطبعة فضالة المحمدية ، (المغرب : د.ت) ، ص ١٦ (مقدمة المحقق) .
(٩) أوجز السير ، ص٣ .

وممن كتب في السيرة النبوية أيضاً في مدة البحث، الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي، ويوجد بعض من أجزاء كتابه في دار الكتب الظاهرية برقم (سيرة — ٢٢ —) (١٠) ، ولا شك في ان هذا الكتاب كان متداولاً في الموصل يدرس إبان وجود مؤلفه فيها .

(٢) **علم الانساب :**

وهو من فروع التاريخ المهمة ، عده الشهرستاني علماً شريفاً ، لأنه يتناول أنساب النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — وأجداده (١١) ، كما وصفه حاجي خليفة بأنه : « علم عظيم انتفع جليل القدر »(١٢) .

وقد كان اهتمام العرب بالنسب و ضبطه منذ الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ، والسبب في ذلك كما ذكر محمود شكري الالوسي : بأن النسب كان أحد أسباب الألفة والتناصر بين الناس ، لذلك حفظ العرب أنسابهم ليمنعوا الفرقة والتخاذل ولكي يكونوا متعاونين متضامين على أعدائهم وخصومهم (١٣) .

وفي العصر الاسلامي بقي الاهتمام بالأنساب على حاله فقد ورد أن الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — ، حث على الاهتمام بالانساب ، وقال « إعرفوا أنسابكُم تصلوا أرحامَكم فانه لا قُرْب بالرحم إذا قُطعت وإن كانت قريبةً ، ولا بُعد بها إذا وُصلَتْ وإنْ كانت بعيدةً » (١٤) .

---

(١٠) انظر : عبدالله ، عبدالعزيز ، كتاب المنخل ،تحقيق ودراسة،رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل : ١٩٨٥) ، ص ٥٣ .

(١١) الملل والنحل ، تحقيق : عبدالعزيز محمد الوكيل ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه ، (القاهرة : ١٩٦٨) ، ٨٣/٣ .

(١٢) كشف الظنون ، مكتبة المثنى ، (بغداد : د/ت) ، ١٧٨/١ .

(١٣) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، شرح وتصحيح : محمد بهجة الأثري ،ط٣، مطابع دار الكتاب العربي ، (مصر : ١٣٤٢هـ) ، ١٤٠/١ و١٨٢/٣ .

(١٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٩) ، ص ١٥٣ .

كما ورد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال : « تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم ، وتصلوا بها أرحامكم » (١٥) .

واستناداً إلى ذلك ، فقد بدأ العرب المسلمون بتصنيف كتب الانساب والاهتمام بها ، فضلاً عن وجود دوافع أخرى كثيرة حدت بهم الى ان يسلكوا هذا المسلك ، ومنها ان العطاء كان يمنح حسب النسب ، بدءاً بقرابة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، ثم قرابة أبي بكر ثم عمر وهكذا الأمر الذي جعل علماء النسب يبحثون في الأنساب (١٦) .

كما ان انتشار القبائل العربية في البلاد المحررة والمفتوحة أدى الى الاهتمام بأنسابها خوفاً عليها من الضياع (١٧) ، وفضلاً عن ذلك فان الحركة الشعوبية التي حاولت ان تطعن الامة العربية ، دفعت العلماء العرب المسلمين إلى الاهتمام بالانساب العربية ، من أجل الدفاع عن أصالة العرب وحضارتهم من هذه الهجمة الحاقدة (١٨) .

ولم تقف هذه الاهتمامات التي أولاها العرب للأنساب عند حدود قبيلة واحدة بل تعدتها إلى رواية أنساب مختلف القبائل ، لذلك فقد خلق هذا العمل شعوراً بوحدة الأمة العربية الاسلامية في مراحلها المختلفة (١٩) .

وللاسباب الانفة الذكر ، كان لعلماء الموصل الدور المهم أيضاً في توثيق الأنساب العربية والعناية بها .

---

(١٥) الزمخشري ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق : د. سليم النعيمي ، إحياء التراث الإسلامي ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ٥٤٥/٣ .

(١٦) نصار ، حسين ، نشأة التدوين التاريخي ، ص١٧ .

(١٧) السامرائي ، خليل ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل : ١٩٨٦) ، ص ٢٠٧ .

(١٨) المشهداني ، محمد جاسم ، الفكر التاريخي والجغرافي ، بحث منشور في حضارة العراق، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ١٦٠/٨ .

(١٩) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي ، ١٧٣/١ — ١٧٤ .

فالشيخ أبو زكريا الازدي الموصلي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) لم يغفل ذكر أنساب القبائل العربية التي سكنت الموصل ، وقد ذكر منازلها التي نزلت فيها ، مع الاشارة إلى أشهر الفقهاء والعلماء والمحدثين الذين ينتسبون إلى هذه القبائل (٢٠) . وكانت للوزير المغربي وزير قرواش بن المقلد العقيلي عناية خاصة بأنساب العرب ، صنف فيها كتابه المشهور (الأيناس بعلم الأنساب) الذي وصفه ابن خلكان بأنه عظيم الفائدة على صغر حجمه ، وهو يدل على سعة اطلاع مؤلفه بهذا العلم (٢١) .

وممن سكن الموصل من علماء الأنساب ابو الحسن العلوي الحسيني ، محمد ابن محمد بن علي بن عبد الله (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) الذي يرجع نسبه إلى علي إبن ابي طالب (رضي الله عنه) ، وقد وصفه الصفدي بأنه : كان متميزاً في علم الأنساب ، لذلك لقب بشيخ الشرف (٢٢) ، إلا أنه لم يذكر ما هي تصانيفه في علم الأنساب . لكن هناك من ذكر له كتاباً في الأنساب هو (تهذيب اعيان الأسرار في النسب ، او : تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب)(٢٣).

وممن سكنوا الموصل ايضاً من علماء الأنساب ، ابو الحسن علي بن ابي الغنائم ، محمد بن علي بن محمد ، (وكان حياً سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م) ، سكنها سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) وهو من اعلام النسابين ، انتهى اليه علم النسب في

(٢٠) انظر : تاريخ الموصل ، تحقيق : د. علي حبيبة ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، / القاهرة : ١٩٦٧) ، ٨١/٢ ، ٩٠ ومابعدها

(٢١) وفيات الأعيان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٦٨) ، ١٧٢/٢ وقد عني بتحقيقه ابراهيم الأبياري وصدر عن دار الكتاب المصري ، (القاهرة : ١٩٨٠)

(٢٢) الوافي بالوفيات ، تحقيق : هلموت ريتر ، طه ٢ نشر فرانز شتاينر (١٩٦٢) ، ١١٨/١

(٢٣) الدجيلي ، عبدالصاحب ، أعلام العرب في العلوم والفنون ، ط٢ ، (النجف : ١٩٦٦) ص ٢٢٨ . وقد عثر على نسخة مخطوطة منه في إحدى مكتبات النجف الخاصة .

زمانه ، كما يقول ذلك ابن عنبة (٢٤) .

ومن تصانيفه كتاب (أنساب الطالبيين) و (المبسوط) و (المجدي) (والشافي) و (المشجر) (٢٥) .

وقد ظهر إلى جانب الاهتمام بأنساب القبائل إهتمام بأنساب الأسر الحاكمة، وقد انتشرت في الموصل مثل هذه الدراسات التي وصلت الينا اخبار البعض منها كالكتاب الذي صنفه علي بن ابراهيم بن محمد بن اسحق في نسب (بني عقيل) سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) وقد قدمه لأمير الموصل ابي حسان المقلد إبن المسيب بن رافع العقيلي ، وكان قد اجاد في تأليفه على رأي الحموي (٢٦).

كما ذكر الداؤدي ، ان الوزير المغربي قد صنف كتاباً بعنوان (اخبار بني حمدان وأشعارهم) (٢٧) . لا يشك في أنه قد تناول فيه انساب بني حمدان من خلال اخبارهم .

وتحسن الاشارة إلى ان هذا النوع من الدراسات لا يخرج كثيراً عن نطاق دراسة أنساب القبائل العربية ، لأن هذه الأسر (العقيلية والحمدانية) تنتسب إلى قبائل عربية معروفة ، فدراسة انسابها ، هي في الواقع دراسة لأنساب القبائل العربية .

(٣) التاريخ المحلي :

يبدو أن تكوين الدويلات العربية الإسلامية ، كان دافعاً للاهتمام بتاريخ المدن ، وإيجاد تواريخ موسعة لها من اجل إكمال الأعمال التي قام بها مؤلف

(٢٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق : محمد حسن آل الطالقاني ، ط٢ ، (النجف : ١٩٦١) ، ص ٣٦٨ .
(٢٥) نفسه ، ص ٣٦٨ . وانظر : الدجيلي ، عبدالصاحب ، اعلام العرب ، ص ٢٣ .
(٢٦) معجم الادباء ، دار المستشرق ، (بيروت : د/ت) ، ٢١٦/١٢ .
(٢٧) طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، نشر مكتبة وهبة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، (١٩٧٢) ، ١٥٣/١ .

التواريخ العامة (٢٨) ، فضلاً عن التنافس بين حكام الدول المستقلة من أجل الحصول على الشهرة والسيادة ، مما حدا بهم إلى أن يشجعوا تدوين تواريخ مدنهم مع إظهار نشاطهم فيها كما يرى ذلك جرجي زيدان (٢٩) .

إلا ان الهدف الأسمى الذي حفز المؤرخين على التوجه إلى تواريخ المدن قد يكون التطور الحضاري الذي رافق القرن الرابع للهجرة ، وما انتجته المدن العربية الإسلامية من تقدم فكري واجتماعي واقتصادي اقتضى من أهل تلك المدن توثيق ذلك التطور وابراز مضامينه مع بيان جهود رجاله ، وهذا العمل لا يتم ضمن التواريخ العامة ، وذلك لسعة حجمه اولاً ، ولأن اهل كل بلد اعرف ببلدهم ، كما يشير إلى ذلك ابن خلدون ، فهو بعد أن يتناول اصحاب التواريخ العامة وغاياتهم ينتقل إلى اصحاب التواريخ المحلية ، فيقول «وجاء من بَعْدِهم من عَدَلَ عن الاطلاق إلى التقييد ... فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افْقِه وقُطْرِه ، واقتصر على احاديث دولته ومصره» (٣٠).

وتجدر ملاحظة ان كتّاب تاريخ الموصل كان بينهم الفقهاء والقضاة والمحدثون ، امثال الأزدي والجعابي ، وبينهم الأدباء والشعراء امثال الخالديين والشمشاطي كما سنلاحظ ذلك .

ولم يصل الينا من تاريخ الموصل الذي وضعه الحافظ القاضي ابو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي الموصلي (ت ٣٣٤هـ) — وهو التاريخ المحلي الوحيد من القرن الرابع للهجرة — إلاّ المجلد الثاني منه فقط ، بعد ان فقد الجزآن الأول والثالث منه ، كما فُقدت تواريخ الموصل التي كتبها الآخرون

(٢٨) الملاح ، هاشم يحيى وآخرون ، دراسات في فلسفة التاريخ ، نشر وتوزيع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٨٨) ، ص ١٧٥ .

(٢٩) تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، (القاهرة : ١٩٥٧) ، ٣٦٢/٢ ؛ وانظر : المشهداني ، محمد جاسم ، الفكر التاريخي ، (البحث السابق) ، ١٧٦/٨.

(٣٠) المقدمة ، تحقيق : د. علي عبدالواحد وافي ، ط١ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (١٩٦٢) ، ٣٥٣/١ .

في تلك المدة .

والأزدي من رجال العلم والحديث والتاريخ ، تلقى علومه عن خيرة علماء عصره امثال شيخ الموصل الحافظ ابي جعفر التميمي ، محمد بن احمد إبن ابي المثنى الموصلي (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م) ، وهو خال ابي يعلى الموصلي ، ومن كبار محدّثي اهل الموصل (٣١) كما اخذ عن طريف بن عبيدالله الموصلي (ت ٣٠٤هـ/٩١٦م) (٣٢) ، وعن ابي يعلى الموصلي الذي روى عنه أيضاً (٣٣) وغيرهم .

وكان احد قضاة الموصل ومحدّثيها كما اشار إلى ذلك السيوطي (٣٤) ، فضلاً عن تصنيفه (تاريخ الموصل) الذي اخذ شهرته ، وكان معيناً لمن جاء بعده (٣٥) .

وقد استقى الأزدي معلوماته في كتاب (تاريخ الموصل) من مصادر شتى ، وهو يعترف بأنه لم يكن مقلداً لأحد او لكتاب مؤلف في هذا المجال ، ويقول «ولم اعمل هذا التاريخ من كتاب معمول مؤلف اعتمدت فيه على امر الموصل خاصة ، وإنما جمعته من كتب شتى ، وقد ذكرت ما وجدت ولم اعدل عن الصدق» (٣٦) موضحاً في ذلك منهجه العلمي وأمانته في التأليف.

لذلك فقد تنوعت مصادر بحثه واستقى معلوماته من الكتب المصنفة ومن الروايات الشفهية التي رواها المحدثون والشيوخ والأشخاص ، فضلاً عن

(٣١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : علي أبو زيد ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٩٨٦)، ١٣٩/١٣ .

(٣٢) العسقلاني ، لسان الميزان ، ط٢ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت : ١٩٧١) ، ٢٠٨/٣ .

(٣٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : اكرم البوشي ، ١٧٨/١٤ ، ١٨٢ .

(٣٤) طبقات الحفاظ ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط ١ ، نشر مكتبة وهبة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، (القاهرة : ١٩٧٣) ، ص ٣٦٦ .

(٣٥) تاريخ الموصل ، ١٣/٢ (مقدمة المحقق) .

(٣٦) نفسه ، ٢٥٠/٢ .

اطلاعه على بعض الكتب والعهود التي كتبها الخلفاء لولاتهم في الموصل ويرى سزكين أن كتاب (تاريخ الموصل) للمعافى بن عمران الموصلي (ت١٨٥هـ/٨٠١م) الذي يبدو انه في التراجم والطبقات كان احد مصادر تاريخ الأزدي (٣٧) كما انه اعتمد على تاريخ الطبري في ايراده لبعض المواضيع لوجود الشبه بينهما ، بيد انه لم يشر إلى ذلك في المجلد الثاني الذي وصلنا، وربما يكون قد اشار إلى ذلك في المجلد الاول المفقود كما يعتقد ذلك محقق الكتاب (٣٨) . كما اعتمد على الوثائق القديمة التي كانت ترسل من الخلفاء العباسيين إلى الموصل ، كالكتاب الذي صدر عن ابي العباس السفاح سنة (١٣٦ /٧٥٢م) في منح وائل الشحاجي الأزدي الموصلي قطعتين في الربض الأسفل من مدينة الموصل عرفتا بقطائع بني وائل ، مكافأة له ولأخوته على موقفه إلى جانب العباسيين ضد الأمويين ، لذلك فإن صاحب (تاريخ الموصل) يعد هذا الكتاب احد مصادره التي استقى منها هذا الخبر ليدونه في كتابه فيقول : «اخرج إليّ مسرور بن محمد بن حمدويه بن مسرور الشحاجي ، نفس الكتاب الذي كتبه ابو العباس لوائل الشحاج — فيما ذكرلي — والكتاب شاهد بصحة ما وجد وذكر فيه» (٣٩) ، ثم يدون الأزدي صيغة الكتاب كاملة في تاريخه ليوثق الخبر .

وكذلك الكتاب الذي ارسله ابو جعفر المنصور إلى والي الموصل اسماعيل إبن عبدالله القسري سنة (١٥٢هـ/٧٦٩م) يأمره فيه بالضرب على ايدي بعض العمال والكتاب ممن حاول ان يقتطع لنفسه من اموال الدولة في اثناء جبايتها بعد ان وصل خبرهم إلى الخليفة ، ووجد الأزدي هذه الوثيقة بين كتب

(٣٧) تاريخ التراث العربي ، م١ ، ج٢ /٢١٥ .
(٣٨) تاريخ الموصل ، ٢/٢٣ ، ٢٤ .
(٣٩) نفسه ، ٢/١٥٨ .

الحارث بن الجارود – قاضي الموصل – القديمة (٤٠) ، فاعتمد عليها في كتابه ، كما اعتمد على كتابات علماء الموصل القديمة او ممن شاهد حادثة معينة كقوله : «ووجدت بخط علي بن حرب قال ...» (٤١) ، فضلاً عن الروايات التي استقاها ممن روى عنهم امثال عبدالله بن احمد بن حنبل (٤٢) ، وخليفة إبن خياط (٤٣) وأبي يعلى الموصلي (٤٤) وغيرهم .

ويتناول المجلد الثاني من تاريخ الموصل سنوات (١٠١ – ٢٢٤هـ/٧١٩ – ٨٣٨م) فقط ، وتبين من خلال احداثها المنهج الذي اتبعه الأزدي في كتابته لتاريخ الموصل .

فتاريخ الأزدي ، تاريخ سياسي حضاري يتناول فيه الأحداث السياسية كحروب الخوارج الذين اتخذوا من الموصل قاعدة لنشاطهم الحربي ، والحروب التي خاضها محمد بن حميد الطوسي مع بابك الخرمي (٤٥) ، فضلاً عن إيراده تفصيلياً لأخبار ثورة اهل الموصل سنة(١٣٣هـ/٧٥٠م) (٤٦) ولم ينس في ذلك اخبار الخلفاء والولاة وغزواتهم التي يقومون بها مع ذكر وفياتهم ، ونجد ذلك مذكوراً في كل سنة من سنوات كتابه .

اما فيما يخص الجانب الحضاري ، فقد سجل ابو زكريا الأزدي في (تاريخ الموصل) ، خطط الموصل ، بما في ذلك درو بها واسواقها ومحالها وقصورها ومساجدها (٤٧) ، كما تناول القبائل التي سكنتها وانسابها (٤٨) ،

(٤٠) تاريخ الموصل، ٢١٤/٢ .
(٤١) نفسه ، ٢٧٩/٢ ، ٣١٣ .
(٤٢) نفسه ، ٥/٢ ، ٥٧ ، ٢١٨ .
(٤٣) نفسه ، ٥٧/٢ ، ١٠٨ ، ٢٢٦ .
(٤٤) نفسه ، ٢٩٩/٢ .
(٤٥) نفسه ، ٢٥/٢ ، ٢٨ (مقدمة المحقق) .
(٤٦) نفسه ، ١٤٥/٢ ومابعدها .
(٤٧) انظر مثلا : نفسه، ٢٤/٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ١٤٥، ١٤٧، ٢٤٤، ٣٦٣ .
(٤٨) انظر مثلا : نفسه ، ٩٠/٢ ومابعدها .

واعطى عناية خاصة لعلماء الموصل ومحدثيها وفقهائها وقضاتها وادبائها مع ذكر وفياتهم ، ونجد ذلك مذكوراً في نهاية كل سنة من سنوات الكتاب ، وفي الجانب الاقتصادي نقل اخبار الغلاء في الموصل في بعض السنين وارتفاع الأسعار وما تبع ذلك من مجاعة (٤٩) .

والملاحظ ان الأزدي في منهجه قد اعتمد في ايراد اغلب معلوماته على الروايات الشفهية على طريقة اهل الحديث كما يشير إلى ذلك محقق الكتاب (٥٠) مرتباً تاريخه هذا حسب السنين ، إذ يقوم بسرد الحوادث سنة بعد اخرى ، وبذلك يجمع حوادث كل سنة في إطار تلك السنة ، وإذا لم تكتمل الحادثة في سنة معينة فإنه يقطع خبرها ويروي ما تبقى منه في السنة التالية (٥١) ، مثال ذلك حديثه عن نهر الحر بالموصل فقد بدأ في الحديث عن خبر حفره سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) مع ذكر السبب في ذلك (٥٢) ثم قطع الرواية ليعيد الحديث عنها في سنة (١٠٨هـ/٧٢٦م) لأن امير الموصل الحر بن يوسف جمع الصناع والمهندسين في هذه السنة ، وهو مهتم بحفره (٥٣) ، ثم يشير اليه في سنوات (١٠٩هـ/٧٢٧م) و (١١٠هـ/٧٢٨م) و (١١١هـ/٧٢٩م) و(١١٢هـ/ ٧٣٠م) (٥٤) ، ويعلن في سنة (١١٢هـ) عن وفاة الحر بن يوسف ، لكنه يستمر في الحديث عن النهر في السنوات التالية حتى سنة (١٢١هـ/٧٣٨م) التي انتهى العمل فيها من حفره (٥٥) .

(٤٩) تاريخ الموصل ، ٢/٣٦٢-٣٦٣ .
(٥٠) نفسه ، ٢/٢٨ ، ٢٩ .
(٥١) نفسه ، ٢/٣٠ (مقدمة المحقق) .
(٥٢) نفسه ، ٢/٢٧ .
(٥٣) نفسه ، ٢/٢٨ .
(٥٤) نفسه ، ٢/٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ .
(٥٥) نفسه ، ٢/٤٣ .

ومن الجدير بالملاحظة ان الأزدي كان يتحرى الدقة في نقل الخبر ويتوخى الأمانة العلمية في رواياته للأحداث ، ومن الأدلة على ذلك :

١ ـ انه كان يتأكد من صحة الخبر الذي ينقله من الوثائق القديمة ، من خلال اطلاعه على نوعية الخطوط وقدمها والتأكد من تواقيع مَنْ صدرت عنه هذه الكتب .

فعندما اقطع ابو جعفر المنصور سنة (١٣٩هـ/٧٥٦م) لوائل بن الشجاج ما تبقى من القطيعة التي اقطعت له من قبل كان الأزدي قد نقل هذا الخبر من الكتاب الذي كتبه ابو جعفر المنصور لوائل بن الشجاج ، وقد تأكد الأزدي من صحة هذا الكتاب وصدقه بقوله : «... واخرج إليَّ مسرور نفس الكتاب الذي كتبه له ابو جعفر ـ كتبه لوائل ، فوجدته دالاً على صدقه بعتقه وخواتيمه والخطوط التي فيه ...» (٥٦) .

٢ ـ عندما يورد بعض الروايات يقول : «بلا خوف بين من يعلم السيرة من اهل الموصل» (٥٧) ، او قوله : «واخبرني من اثق بقوله من اصحابنا (٥٨) مما يدل على ثقته بهؤلاء الرواة .

٣ ـ إذا لم يكن متأكداً من صحة الرواية ، او حصل لديه خلاف بين الرواة حول رواية معينة كان ينقل تلك الرواية بعد ان يقول : «ويقال...» (٥٩) او : «وبلغني ...» (٦٠) او : «على قول اهلها ...» (٦١) ، او : «فيما قالوا ...» (٦٢) ، ويختم الرواية بعبارة : «والله اعلم بذلك» (٦٣) ، فهو

(٥٦) تاريخ الموصل ، ٢/١٧١ .
(٥٧) نفسه ، ٢/٢٥ .
(٥٨) نفسه ، ٢/٢٨٥ .
(٥٩) نفسه ، ٢/٥٦ .
(٦٠) نفسه ، ٢/٢٨٨ .
(٦١) نفسه ، ٢/٢٣٦ .
(٦٢) نفسه ، ٢/٢٥٣ .
(٦٣) نفسه ، ٢/٢٥ ، ٥٧ ، ٢٣٢ ، ٣٢٣ .

بذلك كان يضع العهدة على الرواة ، متخلصاً من المسؤولية التاريخية عما لم يكن واثقاً من خبره .

وما دام قد تأكد من صحة اغلب الروايات ، واطمأن إلى ثقة الرواة عند نقل الخبر ، فقد قل لديه النقد والتمحيص للروايات التي يوردها ، كما يقول ذلك محقق الكتاب (٦٤) .

ونحسن الاشارة إلى ان تاريخ الأزدي جاء بأسلوب سهل خال من التكلف والصنعة الأدبية ، يسترسل في كتابته على نحو مشوق ، وتتخلله الأحاديث النبوية والمحاورة ، والأخذ والرد ، ولم ينس الأزدي في ذلك تضمين السرد الكلامي القصائد الشعرية . ومما يزيد اسلوبه رونقاً ، انه بالنظر لتدوين تاريخه حسب السنين ، فإنه ينوع في اخباره التي يوردها ضمن السنة الواحدة ، والقارىء هنا يتخلص من الملل لأنه يرى امامه صوراً تاريخية متعددة ، سياسية واجتماعية وتراجم علماء واخبار قضاة ، وغير ذلك من الأخبار والروايات والأحداث التي يسطرها عند حديثه عن كل سنة من السنوات .

وماورد من معلومات في (تاريخ الموصل) يشير إلى ان الأزدي لم يهدف في كتابه إلى التقرب من الولاة او الخلفاء ، لذلك جاء كتابه بعيداً عن الانحياز — قدر الامكان — مجرداً في نقل رواياته ، مادام هناك رواة يسند اليهم رواياته .

وكما مر آنفاً فإن تاريخ الأزدي كان احد المصادر التي اعتمد عليها من جاء بعده ، وممن استفاد منه ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في تأليف كتابه (الكامل في التاريخ) ، وخاصة فيما يخص المدة المحصورة بين سنتي (١٠١ — ٢٢٤هـ) ، وهي المدة التي يتناولها المجلد الثاني من تاريخ الأزدي ،

(٦٤) تاريخ الموصل ، ٢٩/٢ .

إما المدة التي سبقتها فقد كان اعتماد ابن الأثير عليه قليلاً فيها ، وربما كان الجزء الأول من تاريخ الأزدي قد فُقد منذ زمن ابن الأثير في حين يذكر ابن الأثير الشيء الكثير عن المدة التي اعقبت سنة (٢٢٤هـ) (٦٥) .

كما كان تاريخ الأزدي احد مصادر الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، فقد اعتمد عليه في تصنيفه لكتاب (سير اعلام النبلاء) ، فكان احد مصادره عندما ترجم للمعافى بن عمران الموصلي (ت ١٨٥هـ/٨٠١م) (٦٦) ، وكان احد مصادر الذهبي ايضاً ، عندما ترجم لأبي علي احمد بن ابراهيم الموصلي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) المحدث الثقة (٦٧) ، وكان احد مصادره ايضاً عندما ترجم لأبي يعلى الموصلي (٦٨) ، وغير ذلك .

وهو ايضاً احد مصادر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) في كتابه (تبصير المنتبه) فقد اعتمد عليه عند ترجمته للقاسم بن عياش الموصلي الحذاء (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م) (٦٩) .

وتجدر ملاحظة ان العسقلاني باعتماده على الأزدي عند ترجمته لأحد اعلام الموصل الآنف الذكر ، يَعني انه قد اعتمد على المجلد الثالث من تاريخ الأزدي ، وهذا واضح من خلال تاريخ وفاة المترجم له ، مما يشير الى أن هذا المجلد كان موجوداً في منتصف القرن التاسع للهجرة ، اي مدة حياة العسقلاني الذي استقى منه المعلومات ، وهذا يدل على ان الجزء الثالث من تاريخ الأزدي قد فُقد في وقت متأخر .

(٦٥) تاريخ الموصل ، ٢/١٢ ، ٢٢ (مقدمة المحقق) ، وانظر : الديوه جي ، تاريخ الموصل ، منشورات مكتبة بسام ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل : ١٩٨٢) ، ١/٢١١ .
(٦٦) سير اعلام النبلاء ، ٩/٨١ .
(٦٧) نفسه ، تحقيق : صالح السمر ، ١١/٣٥ .
(٦٨) نفسه ، ١٤/١٧٨ .
(٦٩) تحقيق : علي محمد البجاوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، (مصر : ١٩٦٤) ، ق ٣/٩٠١ .

بقي ان نذكر ان محقق كتاب الأزدي يسأل الأسئلة الآتية في مقدمته : «لماذا لم يحظ ابو زكريا بشيء من الشهرة ؟» و «لماذا ضاعت كتبه ؟» . ثم يجيب على ذلك : بأن الأزدي كان يعيش في الموصل بعيداً عن مركز الشهرة التي كانت بغداد آنذاك ، ولذلك لم تسلط عليه الأضواء كثيراً ، ولهذا لم يحظ بشهرة واسعة ، وربما كان ذلك بسبب تحامله على العباسيين (٧٠).

وقد يختلف الباحث مع الرأي الآنف الذكر للأسباب الآتية :

١ — أن ضياع كتب الأزدي حالها حال ماضاع من تراثنا الضخم في مختلف مجالات المعرفة ، بسبب الكوارث والأزمات التي مرت على الدولة العربية الاسلامية ، علماً ان كتبه ظلت بعد زمنه مدة طويلة كما مر ، وان المجلد الثاني مازال بين ايدينا الآن .

٢ — ان الموصل في زمانه لم تكن بعيدة عن مركز الشهرة (بغداد) لأنها كانت مشهورة ايضاً قبل الأزدي وفي زمنه وفي العصور التي تلته ، وجاءت شهرتها من شهرة علمائها وادبائها ، فضلا عن مركزها الجغرافي والاقتصادي والسياسي ، كما مر ذلك في الفصول السابقة .

٣ — إن احتمال انتمائه إلى سلطة حاكمة دون اخرى امر مشكوك فيه لأنه مؤرخ كان يستخدم الروايات المسندة ، وكان يبحث عن الوثائق المدونة ليؤكد رواياته الأخرى كما ذكرنا ذلك آنفاً .

٤ — أن الأزدي كان مشهوراً في زمانه بدليل انه كان محدثاً في الموصل وقاضياً لها (٧١) ، ومعروف ان المحدثين ينالون الكثير من الشهرة ، بيد ان القضاة تكون شهرتهم اكبر لأن تعيين القاضي كان يجري من الخليفة مباشرة ، بعد ان يتأكد من علمه وفقهه وعدالته وضبطه ، وهذا ما كان يجري

(٧٠) تاريخ الموصل ، ١٥/٢ ، ١٦ .
(٧١) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٣٦٦ .

على القضاة بعامة ، ومنهم قضاة الموصل (٧٢) .

٥ ـ إن اعتماد بعض المؤرخين الذين جاءوا بعده على كتبه دليل على الاعتراف به وبفضله عليهم ، وما ذكره المحقق من المصادر التي اشارت إلى ترجمة ابي زكريا الأزدي (٧٣) خير شاهد على إعتراف اصحاب هذه المصادر به .

وإلى جانب (تاريخ الموصل) للأزدي ، هناك عدد آخر من العلماء الذين كتبوا في تاريخ الموصل ايضاً منهم ، ابو بكر الجعابي ، محمد بن عمر بن محمد بن سالم (ت ٣٥٥هـ/٩٦٥م) قاضي الموصل (٧٤) ، وكتابه الموسوم بـ (تاريخ الموصل) احد مصادر العسقلاني الذي استقى منه بعض معلوماته عند ترجمته لأبي جعفر محمد بن داؤد بن صبيح المصيصي (٧٥) ، وهو تاريخ مفقود لم يصل إلى ايدي الباحثين .

ويبدو أن الكتاب يبحث في طبقات المحدثين من اهل الموصل لكون مؤلفه محدثاً .

كما صنف الخالديان الشاعران ، ابو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، وابو عثمان سعيد (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م) تاريخاً للموصل مازال مفقوداً لم يصل الينا ايضاً .

وقد ذكره المؤرخين القدامى إلا انهم اختلفوا في تسميته ، فذكره ابن النديم (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، بعنوان (اخبار الموصل) (٧٦) ، ونقل عنه هذه

(٧٢) انظر مثلا : تاريخ الموصل ، ٢٢٧/٣ ، ٣٦٦ ، ٣٠٤ .
(٧٣) نفسه ، ١٧/٢ .
(٧٤) انظر عنه : احمد ، عبدالجبار حامد ، الحياة الفكرية في الموصل في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (الموصل : ١٩٩٢) ، ص ١٨٧ .
(٧٥) تهذيب التهذيب ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، (حيدر آباد : ١٣٢٥هـ) ، ١٥٤/٩ .
(٧٦) الفهرست ، مكتبة خياط ، (بيروت : ١٩٦٤) ، ص ١٦٩ .

التسمية الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، والكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) (٧٧) وذكره الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) باسم (تاريخ الموصل) (٧٨) ، وقد كان هذا التاريخ احد المصادر التي اعتمد عليها الحموي في تصنيف (معجم البلدان) ، فهو عندما يتحدث مثلا عن قرية الصالحية – التي تقع قرب الرها في الجزيرة الفراتية – يشير إلى انه استقى معلوماته عنها من كتاب (تاريخ الموصل) للخالديين (٧٩) ، واعتماد الحموي على الكتاب الآنف الذكر يشير الى انه كان موجوداً في القرن السابع للهجرة ، ولم اعثر – على حد معلوماتي – على مَنْ نقل عنه بعد الحموي . وربما كان فقدانه مبكراً بسبب وقوع الموصل بأيدي المغول سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، وما تبع ذلك من كوارث ادت إلى فقدان قسم كبير من التراث . بينما بقي اسم الكتاب فقط متداولا بين المؤرخين جيلاً بعد جيل .

ومن الجدير بالذكر ان تعاون شخصين مثل (الخالديين) على تصنيف (تاريخ الموصل) يعد حالة نادرة في كتابة التواريخ (٨٠) ، ولا شك ان اهمية هذا النوع من العمل المشترك يساعد على دقة التأليف وقلة الأخطاء وزيادة المعرفة العلمية وعدم اغفال الاحداث والتعاون على ايراد كل قضية واكمال جوانبها بسبب تذكير احد المؤلفين للآخر عند التأليف . ولا يخفى ان اتفاق رأيين افضل من رأي واحد .

أما الشمشاطي ، محمد بن علي ، فقد صنف كتاباً في (تاريخ الموصل)

(٧٧) انظر : سير اعلام النبلاء ، ٣٨٧/١٦ . فوات الوفيات ، تحقيق : د.احسان عباس، نشر دار الثقافة ، (بيروت : ١٩٧٣) ، ٥٣/٢ .
(٧٨) معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٥٥) ، ٣٨٩/٣ .
(٧٩) نفسه ، ٣٨٩/٣ .
(٨٠) عن ظاهرة التأليف المشترك عند بعض المؤرخين ، انظر : مصطفى شاكر ، التاريخ العربي، ١٩/٢ (هامش – ٣) .

أيضاً اهداه إلى قرواش بن المقلد العقيلي حوالي سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) (٨١) ولم يصل الينا كسابقيه ، لكن الذي يبدو انه كان ذا اهمية لدى من جاء بعده من المؤرخين ، فقد كان احد المصادر التي اعتمد عليها الفارقي (المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة) في تصنيف تاريخه (تاريخ ميافارقين) (٨٢) .

وتجدر الاشارة إلى ان محمد بن علي الشمشاطي مؤلف كتاب (تاريخ الموصل) ، هو غير ابي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي مؤدب ولدي ناصر الدولة الحمداني ، لأن بعض المؤرخين المُحدثين قد خلطوا بين الأثنين امثال شاكر مصطفى والدكتور عبدالواحد ذنون طه وسعيد الديوه جي (٨٣) مع ان الفرق بينهما واضح بدليل :

١ — ان ابن النديم الذي كان معاصراً وصديقاً لأبي الحسن الشمشاطي مؤدب ولدي ناصر الدولة الحمداني ، وهو اقدم من اورد ترجمته ، لم يورد عنه انه قد صنف كتاباً في (تاريخ الموصل) من بين مؤلفاته التي ذكرها له (٨٤) .

٢ — أن هناك اختلافاً واضحاً بين الإسمين على الرغم من تشابه كنيتيهما فقد سمي الأول أبا الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي او (السميساطي) (٨٥) ، وسمي الثاني محمد بن علي الشمشاطي (٨٦) ،

(٨١) الفارقي ، تاريخ الفارقي ، تحقيق : د. بدوي عبداللطيف عوض ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت : ١٩٧٤) ، ص ١١ ، ١٧ .
(٨٢) نفسه ، ص ١٧ ، ٣٤ .
(٨٣) انظر : التاريخ العربي ، ٢٠/٢ . العلوم التاريخية والجغرافية (البحث السابق) ، ٨٧/٣ . تاريخ الموصل ، ٢١٤/١ .
(٨٤) انظر : الفهرست ، ص ١٥٤ .
(٨٥) نفسه ، ص ١٥٤ .
(٨٦) انظر : تاريخ الفارقي ، ص ١ ، ١٧ .

٣ — ان ابا الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي قد توفي بحدود سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) (٨٧) اي انه عاش في العصر الحمداني ، بينما عاش محمد بن علي الشمشاطي في زمن قرواش العقيلي الذي حكم الموصل بين السنوات ٣٩١—٤٤٤ هـ/١٠٠٠—١٠٥٢م) (٨٨) والفرق واضح بين التاريخين .

٤— أغلب الظن ان مؤلف (تاريخ الموصل) محمد بن علي الشمشاطي ، هو إبن أبي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي .

(٤) كتب الطبقات والتراجم :

احتوت كتب الطبقات والتراجم على اخبار العلماء والأدباء في مجالات المعرفة كافة ، فضلا عن أخبار الصحابة ومشاهير العرب المسلمين ، وتناولت سيرهم وعرفت بحيواتهم وانجازاتهم ، لذلك فهي تعد دليلاً على تطور التدوين التاريخي العربي الإسلامي (٨٩)

وقد اسهم علماء الموصل بهذه التصانيف من اجل توثيق اخبار العلماء والأدباء ، بيد أن مما يؤسف له أن معظم هذه المصنفات قد فقد مع ما فقد من تراثنا ، وبقيت اسماؤها متداولة في بطون الكتب فقط ، وكم ستكون فائدتها عظيمة في إغناء التاريخ العربي الإسلامي لو تم العثور عليها او على بعض منها .

وقد اخذت كتب التراجم والطبقات التي قام بتصنيفها علماء الموصل اشكالاً متنوعة ، فمنهم من صنف في اخبار الصحابة ، امثال ابي يعلى الموصلي

(٨٧) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ٢٠/٢ .
(٨٨) المعاضيدي ، خاشع ، دولة بني عقيل في الموصل ، ص ٥٧ .
(٨٩) الملاح ، هاشم وآخرون ، دراسات في فلسفة التاريخ ، ص ٤٧ — ٤٨ .
وانظر : عفيفي ، محمد الصادق ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، (القاهرة: ١٩٧٧) ص ٣١٠ .

الذي الف كتابه الموسوم بـ (معجم الصحابة) (٩٠) ، وابي الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، الذي صنف كتاباً بعنوان (الصحابة) (٩١) .

ومنهم من صنف في التراجم والطبقات على اساس البلدان ، اي ان المؤلف يختار في كتابه علماء بلده ، مثل كتاب (طبقات العلماء من اهل الموصل) الذي صنفه ابي زكريا الأزدي الموصلي (٩٢) .

ويبدو أن هذا الكتاب قد كان من الكتب المهمة في عصر المؤلف وفي العصور اللاحقة له ، فقد كان احد المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون عند تراجمهم لعلماء الموصل ، فقد استعان به الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) في اثناء ترجمته للخليل بن ابي نافع الموصلي المحدث (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) (٩٣) . وعده ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) احد مصادره في اثناء ترجمته للقاسم بن عياش الحذّاء الموصلي (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م) (٩٤) . واعتمد عليه الحموي في اثناء حديثه عن ابي جعفر محمد بن الحارث الكاري (ت ٢١٥هـ/٨٣٠م) ، وفي اثناء حديثه عن عبد العزيز بن حيان بن جابر (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) (٩٥) ، وهو احد المصادر التي اعتمد عليها عز الدين ابن الأثير في تصنيف كتابه (اسد الغابة في معرفة الصحابة) ، كما ذكر ذلك في مقدمته (٩٦) ، وأشار اليه العسقلاني ايضاً عند ترجمته لزيد بن ابي

(٩٠) الكتاني ، الرسالة المستطرفة ، تحقيق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ، ط٣ ، مطبعة دار الفكر ، (دمشق : ١٩٦٤) ، ص ١٣٦ .
(٩١) نفسه ، ص ١٤٥ .
(٩٢) ابن ماكولا ، الاكمال في رفع الارتياب ، تحقيق : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، طبع دائرة المعارف العثمانية ، (الهند : ١٩٦٢) ، ٧٤/٦ .
(٩٣) تاريخ بغداد ، نشر دار الكتاب العربي ، (بيروت : د/ت) ، ٣٣٥/٨ .
(٩٤) الاكمال ، ٧٤/٦ .
(٩٥) معجم البلدان ، ٤٢٨/٤ و٢٢٥/٥ .
(٩٦) اسد الغابة ، المكتبة الاسلامية بطهران (١٣٧٧هـ) ، ١١/١ .

الزرقاء الموصلي (ت ١٩٤هـ/٨٠٩م) (٩٧) .

وهناك من صنف في التراجم والطبقات على اساس الوفيات من غير الاهتمام بقيمة المترجم له ومكانته العلمية، وهذا النوع من الدراسات التاريخية لم يكن مقتصراً على اصحاب الحديث بل شمل الأدباء والشعراء والفقهاء وغيرهم (٩٨) . وممن صنف في هذا النوع من التراجم من اهل الموصل، ابو عثمان الخالدي ، سعيد بن هاشم الموصلي ، فقد ورد ان له كتاباً بعنوان (فوات الوفيات) (٩٩) .

وهناك من عني برجال الحديث وبيّن ثقاتهم وضعفاءهم واحوالهم واسماءهم وأنسابهم وشيوخهم وتلامذتهم . وعلى الرغم من ان هذه الكتب قد اختصت بأهل الحديث ، إلاّ انها في الوقت نفسه قد كانت بمثابة تاريخ تراجم لهؤلاء الرجال .

وممن صنف من اهل الموصل في هذا الجانب، ابو الفتح محمد بن الحسين الأزدي ، فقد ورد ان له كتاباً بعنوان : (الجرح والضعفاء) او (الجرح والتعديل في الضعفاء من رجال الحديث) (١٠٠)

والشيء نفسه ينطبق على القرّاء ، فقد صُنّفت المعاجم التي تتناول اسماءهم وأنسابهم وشيوخهم وانواع قراءاتهم وطلابهم ، وهي ايضاً بمثابة تاريخ تراجم لهم ، وممن صنف فيهم ابو بكر النقاش الموصلي ، وذلك في كتابه (المعجم الكبير في اسماء القراء وقراءاتهم) (١٠١) .

وقد اهتم العلماء بتواريخ الأشخاص من المشاهير والأعلام ، وعلى هذا

---

(٩٧) تهذيب التهذيب ، ٤١٤/٣ ، .

(٩٨) المشهداني ، محمد جاسم ، الفكر التاريخي ، (البحث السابق) ، ١٨٤/٨ - ١٨٥ .

(٩٩) البغدادي ، هدية العارفين ، ٣٩٠/١ .

(١٠٠) العسقلاني ، لسان الميزان ، ١٣٩/٥ ، وانظر : هدية العارفين ، ٥٠/٣ .

(١٠١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣ .

فقد عنوا بتراجم هؤلاء الرجال ، ولاسيما الشعراء والأدباء منهم ، من أجل متابعة اخبارهم واسمائهم وأنسابهم وأشعارهم ، وتوثيق تواريخ حيواتهم وحلّهم وترحالهم ، فقد صنف ابو بكر النقاش الموصلي كتاباً في (اخبار القصاص) (١٠٢) ، وصنف ابو الحسن الشمشاطي علي بن محمد العدوي ، كتاب (اخبار ابي تمام والمختار من شعره) ، وكتاب (اخبار ابي نؤاس والمختار من شعره والانتصار له والكلام على محاسنه) (١٠٣) . وصنف الخالديان الموصليان كتاباً في (اخبار ابي تمام ومحاسن شعره) ، وكتاباً في (اخبار شعر ابن الرومي) وغيره من الشعراء (١٠٤) ، ومن خلال كتب التراجم والطبقات استطاع العلماء ان يربطوا التاريخ بكل العلوم كما يقول ذلك عبدالمنعم ماجد ، الذي عد التاريخ (علم العلوم) (١٠٥) ، فبواسطته يؤرخ للعلوم والعلماء في مجالات المعرفة كافة .

(٥) — تاريخ القبائل والخطط

وهو واحد من الدراسات التي اسهمت بكتابة التاريخ الحضاري للأمة العربية الاسلامية ، إلا ان مثل هذه المصنفات لا يقتصر على ذكر تخطيط المدينة القائم في زمن المؤلف فقط (١٠٦) وهذا ما يؤكده ابو زكريا الأزدي الموصلي في كتابه الذي صنفه في هذا المجال ووسمه بـ (القبائل والخطط) (١٠٧) فقد وضح جانباً مما حواه هذا الكتاب ، وذكر أنه تناول فيه القبائل العربية ومنازلها وأخبارها وخططها منذ عصر ماقبل الإسلام ، ثم تتبع اخبار تلك القبائل في العصر الاسلامي ، مبيناً موقفها من الإسلام ، ذاكراً

---

(١٠٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣ .
(١٠٣) نفسه ص ١٥٤ ، ١٦٠ ، وانظر : الحموي ، معجم الأدباء ، ٢٤١/١٤ .
(١٠٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٦٩ . وانظر : الكتبي ، فوات الوفيات ، ٥٣/٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣٨٧/١٦ .
(١٠٥) تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة : ١٩٧٨)، ص ٢٠٨ .
(١٠٦) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ٣٤٧/١ .
(١٠٧) وهو من الكتب المفقودة .

في ذلك وفودها إلى الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ثم دور من برز فيها من الفقهاء والعلماء (١٠٨) ، مع انه قد ذكر ما يتعلق بأخبار تلك القبائل في الموصل في كتابه الآخر (تاريخ الموصل) ، وقوله الآتي يوضح ذلك ، فبعد ان تكلم على القبائل العربية التي سكنت الموصل وانسابها واخبارها (١٠٩) ، قال عن مالك بن فهم واولاده : «وأمر مالك بن فهم وولده طويل واخبارهم كثيرة ، وإنما ذكرت ههنا من قدم منهم الموصل ، وقد شرحت ما بلغني من انسابهم وأخبارهم وخططهم ، والأحرار والفرسان في الجاهلية منهم ، ومن له الوفود على الرسول — صلى الله عليه وسلم — والفقه والعلم والرواية في الإسلام في كتاب ترجمته : القبائل والخطط» (١١٠) ومع ذلك فلا يشك ان الأزدي قد تطرق إلى خطط الموصل واحيائها في زمنه في اثناء حديثه عن القبائل العربية ومنازلها في كتابه (القبائل والخطط) أسوة بمنهجه الذي استخدمه في كتابه (تاريخ الموصل) .

(٦) — تاريخ الديارات

إن كثرة انتشار الديارات في الموصل وفي البلاد الأخرى ، حدا بأدباء الموصل وعلمائها في القرن الرابع للهجرة إلى القيام بتصنيف الكتب الخاصة بها ، وهم بذلك يوثقون اخبار هذه الديارات في الموصل وغيرها . وكتب الديارات هذه تدخل في باب التاريخ الحضاري (١١١) ، لأنها تجمع اخبار الغناء ومجالس الأنس ، وتسجل ما قيل فيها من اشعار قرب الديارات ، فضلاً عن تدوين اسماء الديارات واماكنها وتاريخ إنشائها ، على نحو ما فعله السري الرفاء الموصلي في كتابه (الديرة) (١١٢) ، وما فعله ابو الحسن علي

(١٠٨) تاريخ الموصل ، ٩٦/٢ .
(١٠٩) انظر : نفسه ، ٨٩/٢ ومابعدها .
(١١٠) نفسه ، ٩٦/٢ .
(١١١) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي ، ٣٠٧/١ .
(١١٢) الحموي ، معجم الادباء ، ١٨٥/١١ .

إبن محمد العدوي الشمشاطي في كتابه (الديارات) (١١٣)، وكذلك ماذ عله الخالديان الموصليان في كتابهما (الديارات) (١١٤) .

وعلى الرغم من عدم وصول هذه الكتب، إلاّ ان اخبارها هي مما تناقله المؤرخون ، واعتمدوا عليه بشكل اساسي عند حديثهم عن الديارات ، على نحو ما فعله القزويني الذي كان كتاب (الديارات) للخالديين احد مصادره (١١٥)

(٧) — تاريخ الهدايا والتحف :

ويقصد بها تدوين اخبار التحف والهدايا التي كان الناس يتبادلونها فيما بينهم ، وقد راجت اخبار هذه الهدايا والتحف لا سيما في القرن الرابع للهجرة وما بعده بسبب تطور الحضارة وازدهارها ، لذلك فقد صنف عدد من العلماء والأدباء في أخبارها كتباً عديدة ، ذكر عدداً منها شاكر مصطفى مثل كتاب (الهدايا) المنسوب للجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، وكتاب (الهدايا) لأبي عبدالله محمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٩٠هـ/٩٢١م) ، وكتاب (الهدايا) لأبي عبدالله محمد بن عمران الخرساني (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) وغيرها (١١٦)

وفي الموصل اسهم الخالديان بهذا النوع من التدوين التاريخي ، بكتابهما (الهدايا والتحف) (١١٧) .

وقد جاء الكتاب في احد عشر باباً ذكر فيها الخالديين التحف والهدايا وما قيل فيها من اشعار ، مع ذكر الجهات التي تبادلت هذه الهدايا (١١٨)

---

(١١٣) الفهرست ، ص ١٥٤ .
(١١٤) الكتبي ، فوات الوفيات ، ٥٣/٢ .
(١١٥) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٦٠) ، ص ٣٧٠ ، ٣٧٣ .
(١١٦) انظر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ٣٠٩/١ — ٣١٢ .
(١١٧) الكتبي ، فوات الوفيات ، ٥٣/٢ .وقد عني الدكتور سامي الدهان بتحقيقه ، ونشر في دار المعارف بمصر سنة (١٩٥٦) ، بعنوان (التحف والهدايا) .
(١١٨) التحف والهدايا ، ص ٩ .

على اختلاف انواعها منذ مطلع العصر العباسي حتى عصرهما (١١٩) .

ولا يخفى ان اغلب هذه الهدايا كان يتم تداوله في الأعياد والمناسبات وقد تنوعت وتلونت ، فشملت السيوف ، والخيول ، والورود ، والجواري والدُوِيّ المحلاة بالذهب ، وقارورات ماء الورد ، والثياب ، والطيالسة ، والنقود ، وغير ذلك من انواع الهدايا التي نجد ذكرها في كتاب (التحف والهدايا) ، وقد اسهم الخالديان بهذا الكتاب في توثيق جانب من التاريخ الحضاري للأمة العربية الإسلامية ، لأنهما ارخا لهذه العادات الإجتماعية التي تشير الى تطور المجتمع وازدهاره ورفاهيته ، ويعد هذا الكتاب مادة خصبة ومصدراً مهماً لمن يريد ان يدرس الحياة الإجتماعية او الإقتصادية عند العرب المسلمين في ظل حضارتهم وازدهارهم ، فهو خير معين له ، ينهل منه ومن الرسائل الشعرية التي كتبت وارسلت مع الهدايا ، وقد تضمنت الكثير من المعاني بين ثنايا كلماتها ، والتي كان من شأنها خلق وتطوير العلائق بين افراد المجتمع ، وبينه وبين الخلفاء والأمراء ، وكذلك بيان العلاقات السياسية بين الخلفاء وملوك الاطراف ، من خلال تبادل الهدايا وما يرافقها من جميل الأشعار ، ورسائل الود والاحترام التي تؤكد حسن العلاقة بينهما كما حصل ذلك بين ملك الهند (رهمي) والخليفة العباسي (المأمون) عندما ارسل (رهمي) الهدايا والتحف الى الخليفة المأمون مع رسالة تتضمن عبارات المجاملة وتفخيم المحتوى من اجل شد اواصر الصداقة بينهما ، وقد اوردها الخالديان في كتابهما (١٢٠) .

(٨) ومن علماء الموصل من كتب تاريخاً منوعاً ، كما فعل ذلك ابو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي الشمشاطي ، مؤدب ولدي ناصر

(١١٩) التحف الهدايا ، ص ٣٣ (مقدمة المحقق) .
(١٢٠) نفسه ، ص ١٥٩ .

الدولة الحمداني ، فقد صنف كتاب (الأنوار ومحاسن الأشعار)(١٢١) ، وهو يعد من الكتب التاريخية المهمة ،لأنه يجمع بين تاريخ العرب واخبارهم قبل الاسلام ، وبين الحضارة العربية الاسلامية ،لذلك جاءت اخباره التاريخية متنوعة متضمنة القصائد الشعرية التي تحوي اخباراً تاريخية مهمة ، وهو بلا شك مصدر مهم لمن يريد ان يبحث في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده ، فضلاً عن كونه كتاباً مهماً في الأدب العربي ، وهو في سبعة ابواب ، في كل باب موضوعات تاريخية تختلف عن غيرها . تتناول اخبار الأسلحة وانواعها واسماءها واهميتها (١٢٢) ، كما تتحدث عن ايام العرب ووقائعهم المشهورة واسمائها ،واقتصر الحديث على ثلاثين يوماً منها موضحاً اسبابها ونتائجها ، مثل يوم (جدود) (١٢٣) ، ويوم (مبايض) (١٢٤) ، ويوم (خوي) (١٢٥) ، ويوم (ذي الاثل) (١٢٦) ،وغيرها ، وقد ضمن المؤلف تلك الأحداث ماقيل فيها من اشعار .

ولا شك ان ماورد فيه من اخبار عن ايام العرب يعد مصدراً مهماً لمن يريد ان يبحث في تاريخ العرب قبل الاسلام. كماذكر الشمشاطي ايضاً في كتابه هذا موضوعاً تاريخياً آخر ،يتصل بالخيل وصفاتها وانسابها واهميتها عند العرب وما قاله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيها ،مع ذكر اسماء خيل الرسول الكريم ،وضمن ذلك مجموعة من القصائد الشعرية(١٢٧).

ثم تطرق إلى وسائل النقل والمواصلات في البر والبحر عند العرب آنذاك

(١٢١) حققه صالح مهدي العزاوي ،ونشرته وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية سنة ١٩٧٦ .
(١٢٢) الأنوار ، ص ١٣ ومابعدها .
(١٢٣) نفسه ، ص ٤٥ .
(١٢٤) نفسه ، ص ٥٠ .
(١٢٥) نفسه ، ص ٥٤ .
(١٢٦) نفسه ،ص ٥٦ .
(١٢٧) نفسه ، ص ١٢٩ ، ١٣٢ ومابعدها .

بما فيها الإبل وصفاتها وما قيل فيها (١٢٨) ، والسفن واهميتها (١٢٩) ، ولم ينس في هذا الباب النواعير والعروب (١٣٠) ، نظراً لأهمية (النواعير) في نقل الماء ، واستخدام (العروب والأرحية) في طحن الحبوب . ومما جاء في الكتاب من جوانب تاريخية حضارية ، ماذكره عن الأبنية والدور والقصور التي يتبين من خلال ما اورده فيها من قصائد مدى ما وصلت اليه الحضارة العربية الإسلامية في فن البناء والاعمار .

فالقصيدة التي اوردها في قصر المتوكل — وهي لعلي بن الجهم — تصف لنا عظم البناء وفخامته ودقة زخرفته ، ومنها قوله :

مازلت اسمع أن المل ـــو ك تبني على قدر اقدارها
فلما رأينا بناء الامام رأينا الخلافة في دارها
بدائع لم ترَها فارس ولا الروم في طول أعمارها
نظمنَ الفسافس نظم الحلي لعَونِ النساء وأبكارها
واروقة شطرها للرخا م وللتبرِ اكرم اشطارها
اذا اوقدت نارها بالعشا قِ اضاء الحجازَ سنا نارها (١٣١)

ويتبين مما سبق ان لعلماء الموصل إسهامات جادة في إبراز التاريخ الحضاري للأمة العربية الاسلامية والنهوض به بكتاباتهم التي افنوا فيها هذا الجانب من الدراسات التاريخية المهمة .

واخيراً لا بد من الاشارة إلى أننا لم نقف على اخبار مؤرخين من اهل الموصل كتبوا في التاريخ العام في القرنين الرابع والخامس للهجرة — كما

(١٢٨) الانوار ، ص ١٦٩ .
(١٢٩) نفسه ، ص ٢٠١ .
(١٣٠) نفسه ، ص ١٩٣ ، ١٩٧ .
(١٣١) نفسه ، ص ٢٣١ .

فعل الطبري في تاريخه او المسعودي في مروجه، او كما فعل ابن الأثير في تاريخه ، فيما بعد — باستثناء ما قام به ابو الحسن الشمشاطي، علي بن محمد العدوي ، فقد ذكر ابن النديم عنه ، انه اختصر كتاب الطبري وجذف اسانيده (١٣٢) .

ويتبين من خلال دراستنا الآنفة ، أن الفكر التاريخي في الموصل كان فكراً متطوراً شمل مختلف فروع التاريخ ، وبذلك كانت جهود اهل الموصل جهوداً واضحة في مسيرة التاريخ العربي الاسلامي وتطور الدراسات التاريخية .

(١٣٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .